حرب الترانسفال

من ينظر الى الخريطة التي على الصفحة التالية والى الرسم المدهر في اعلاها من الجهة اليسرى يجد بقعة صغيرة بيضاء في وسط بقاع كبيرة فيها خطوط سوداء . فهذه البقاع الكبيرة للدولة الانكليزية والبقعة البيضاء بلاد الترنسفال وولاية اورنج الحرّة . ويتعذّر على المرء ان يعرف حقيقة المشاكل التي وقعت فيها ودعت الى اشتباك الحسام وبيع النفوس بيع السماح ما لم يقف على خلاصة تاريخهما من حين مُصرّنا الى الآن وما هو بعيد العهد منا لكن البلاد تسير الآن تحت راية الاوربيين غير السوابق فيحدث فيها في مئة عام ما كان يحدث في غيرها في ألوف من الاعوام . وهاك خلاصة تاريخهما

نزل الهولنديون في الراس الجنوبي من افريقية وهو المعروف براس الرجاء الصالح في القرن السابع عشر فاستوطنوهُ وعمروهُ . وتبعهم الانكليز سنة ١٧٩٥ ثم ضمت تلك البلاد الى الممالك الانكليزية سنة ١٨١٤ وزاد ارتحال الانكليز اليها واستيطانهم لها الاّ ان الهولنديين الذين سبقوهم اليها ورحبوا بهم اولاً اوجسوا منهم شرًّا وصاروا يحسبونهم دخلاء في البلاد

ومرّت السنون والاحقاد تزيد والهولنديون يهاجرون من وجه الانكليز شمالاً او يثورون عليهم الى ان نادت الحكومة الانكليزية بعتق العبيد سنة ١٨٣٤ فقامت قيامة الهولنديين عليها لانهم كانوا قد استعبدوا سكان البلاد الاصليين واستخدموهم في اعمالهم فشقّ عليهم عتقهم وقام ستة آلاف منهم وهجروا بلاد الراس وارتحلوا شمالاً وضربوا في مجاهل افريقية والحقد ملء نفوسهم وهو ينمو ويتضاعف كلما قل زادهم او اعوزهم الماء او عزاهم سكان البلاد الاصليون . وبقي هذا الحقد متأصلاً في نفوسهم يرثهُ الخلف عن السلف الى يومنا هذا . ولما وصلوا نهر اورنج انقسموا فرقتين فرقة اقامت هناك ومصرت ولاية اورنج الحرّة والاخرى سارت شرقاً ونزلت في بلاد ناتال . ثم استولت الجنود الانكليزية على تلك البلاد فقام اكثر الهولنديين (ويلقبون بالبورس ومعناهُ الفلاحون) وقطعوا نهر الفال ونزحوا شمالاً وسميت البلاد التي نزحوا اليها الترنسفال اي عبر الفال . ورأوها كثيرة الخير والمير فاستوطنوها وتوالدوا فيها وانشأوا حكومة جمهورية مستقلة ومجلس شورى فلم يتعرّض لهم الانكليز بسوء بل تركوهم وشأنهم واعترفوا بجمهوريتهم سنة ١٨٥٢ . وكانت البلاد آهلة بسكانها الاصليين فلم يرحبوا بالنزلاء بل اصلوهم ناراً حامية زماناً طويلاً . واحجم البورس عن القتال وفرغت خزينة حكومتهم من الاموال وكادت الدائرة تدور عليهم فبعثت الحكومة الانكليزية معتمداً اليهم مع كوكبة

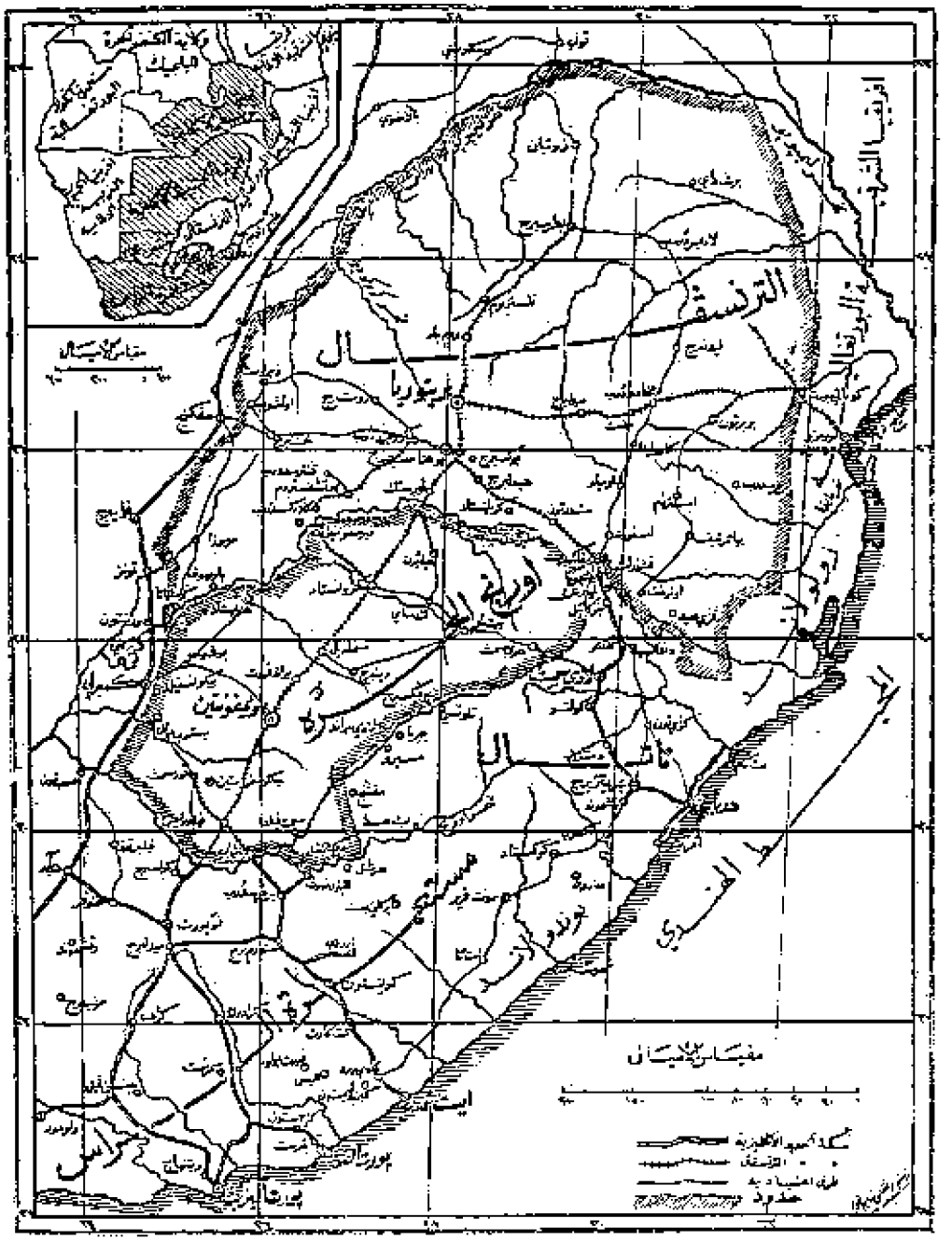

خارطة القسم الشرقي من جنوبي افريقية وفيه بلاد الترانسفال وولاية اورنج الحرة وجانب من مستعمرة الرأس . وفي اعلى الصورة رسم جنوب افريقية مصغراً لتظهر فيه بلاد الرأس كلها وسائر الاملاك البريطانية سيدة اللون وفيها بلاد الترنسفال وولاية اورنج الحرة وعبارها بيضاء

من الفرسان فانتعشت نفوسهم وتوسلوا اليه ان يضم بلادهم الى الممالك الانكليزية ففعل وكان ذلك في ١٢ ابريل سنة ١٨٧٧ ولم يكن الرئيس كروجر والقائد جوبير وبعض الزعماء على رأيهم فقالوا ان البلاد ضُمّت الى الممالك الانكليزية على غير رغبة سكانها. ولم يحسن الانكليز الذين ارسلوا اليها ادارة شؤونها السياسية سيما استرضاء الاهلين فثاروا عليهم سنة ١٨٨٠ وقهروهم في واقعة مجوبا وهي آكمة في طرف ناتال الشمالي وكانت الجنود الانكليزية ٦٤٨ بقيادة السر جورج كولي فهجم عليهم وبطل الترانسفال في السابع والعشرين من شهر فبراير سنة ١٨٨١ وكانوا اكثر منهم عدداً فقتل السر جورج كولي و٢٠٠ من جنوده وجرح كثيرون واسر الباقون او ضلوا السبيل. ومن ثم رسخ في نفوس البوير ان الانكليز ضعاف يسهل قهرهم في كل حين وانهم حاقدون عليهم فلا يؤتمن جانبهم. وعقدت عهدة الصلح بينهم وبين الانكليز وبقي للانكليز حق السيادة عليهم في ما يختص بامورهم الخارجية فقط

وفي بلاد الترانسفال من السكان حسب احصاء حكومتها الذي اصدرته في العام الماضي ٧٤٨٧٥٩ من السود و٣٤٥٣٩٧ من البيض ومجموع ذلك ١٠٩٤١٥٦ نفساً وهو ثلث البيض من البوير واكثر من ثلثهم من الانكليز والباقون من امم اوربية مختلفة فالانكليز المستوطنون فيها الآن اكثر من كل البوير الذين فيها وهم اغنى منا لا يقدّر. واكثر دخل الحكومة منهم

والحكومة جمهورية ولها مجلس نواب فيكلّ منها ٢٧ عضواً واعضاء المجلس الاول ينتخبون من البيض الذين سكنوا بلاد الترانسفال قبل سنة ١٨٧٦ او الذين اشتركوا في محاربة الانكليز سنة ١٨٨١ او في الحروب الاخرى التي نشبت بعد ذلك. هؤلاء فقط ينتخبون وينتخبون لهذا المجلس ولا ينتخب احد للعضوية في هذين المجلسين الاّ اذا كان سنهُ ٣٠ سنة فاكثر ومذهبهُ البروتستانت ولم يحكم عليه قط. ويجوز التجنّس بجنسية الترانسفال ولكن يشترط لذلك ان يعترف رجال من البوير أنفسهم بان طالب التجنس اهلٌ لهُ

ومفاد ذلك كلهِ ان الانكليز الذين استوطنوا بلاد الترانسفال منذ بضع سنوات الى الآن أعمّروها وفجروا معادنها واظهروا خيراتها الطبيعية حتى يتمتّع بها السكان كلهم على اختلاف طبقاتهم. ومنهم تجبى اكثر اموال الحكومة او كلها تقريباً وهم اصحاب المصالح الكبرى في البلاد وعددهم يزيد على عدد البوير انفسهم ولولاهم ولولا سطوة الامة الانكليزية التي هم منها لكان السكان الاصليون قد اودوا بالبوير — هؤلاء الانكليز محرومون من الانتظام في مجلس النواب ومن الاشتراك في حكومة البلاد فيحكم عليهم البوير ويسنّون لهم ما شاؤوا من القوانين ويتصرفون باموال الحكومة كما يحبون والانكليز يدفعون الاموال ولا يحق لهم ان يشكوا شيئاً

ويقول لهم البورس " نحن السابقون الى هذه البلاد ونحن الذين اشترينا استقلالها بدمائنا ولا بدَّ لنا من ان نسوسها كما نشاء فاذا رضيتم بذلك فابقوا عندنا على الرحب والسعة والاَّ فاهجروا بلادنا واتركونا وشأننا " وعلى هذا الكلام صبغة العدل والانصاف ولكن ما قول البورس وانصارهم لو قام السكان الاصليون وقالوا للبورس ما يقولهُ البورس للانكليز (وغيرهم من اوتلندرس اي الدخلاء في بلادهم) اترضى البورس بذلك أوَ لا يعتشقون الحسام ويقولون ان الارض لله وهي تسعكم وتسعنا وفيها خير يكفيكم ويكفينا فلن نرحل عنها وفينا رمق

ويقول البعض انهُ لو فعل الانكليز وغيرهم من الذين استوطنوا الترنسفال حديثًا كما فعل البورس واثبتوا حقهم بالسيف مثلهم في تلك البلاد ما لامهم احد لان التغلُّب من الحقوق الشرعية للملك لكنهم لم يعتشقوا الحسام بل اثاروا الحكومة الانكليزية تحارب عنهم فهم خونة وهي ملومة لانها تعرَّضت لما لا يعنيها

وللحكومة الانكليزية عذر بانها فعلت الآن ما فعلتهُ قبلاً لما استنجد بها البورس على السكان الاصليين وبان البورس اخلفوا عهدهم معها فرفضوا الاعتراف بسيادتها عليهم في امورهم الخارجية وهذه السيادة حق مكتسب لها لا لتركهُ عفوًا . ولم يكتفوا برفض سيادتها بل خاطبوها كما يخاطب القويُّ الضعيف فانتهكوا حرمتها لدى الامم الافريقية التي تسودها . وانتهاك هذه الحرمة يجرُّ الى شرور كثيرة فيعود جنوبي افريقية الى حالة الهمجية التي كان فيها قبلاً وتكون الخسارة الكبرى على انكلترا لدفعها واجب عليها

هذا من قبيل الترنسفال اما ولاية اورنج الحرة التي شاركت الترنسفال في محاربة الانكليز الآن فقد تقدم كيف نزلها البورس واستوطنوها وقد نودي باستقلالها سنة ١٨٥٤ وحكومتها جمهورية رئيسها الحالي القاضي متين انتخب في ١٩ فبراير سنة ١٨٩٦ ومدة الرئاسة خمس سنوات . وكان عدد سكانها سنة ١٨٩٠ مئة الف وسبعة آلاف البيض منهم ٧٧٧٠٦ والباقون من السود واكثر البيض من البورس والالمانيين والانكليز . وفيها مجلس نواب اعضاؤهُ من البيض فقط والمخوَّلون لهُ من البيض ايضًا ويشترط ان يكونوا قد ولدوا في البلاد او استوطنوها منذ خمس سنوات على الاقل . والظاهر انها لا تتبع غير البورس من الانتخاب

وفي هذه البلاد نحو ٣٠ مليون فدان من الاراضي اكثرها صالح للزراعة ولكن لا يزرع منها الاَّ نحو ثلث مليون فدان لقلة سكانها . ومواشيها كثيرة جدًّا لكثرة مراعيها ففيها نحو سبعة ملايين من الغنم ومن معادنها الماس ويخرج منهُ في السنة ما ثمنهُ نحو نصف مليون من الجنيهات . وبينها وبين الترنسفال محالفة حربية تقضي عليها بمشاركتها في محاربة انكلترا